

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[203] أَنْ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ. ولا ينحصر الأمر بتوقّف قبول التوبة على قبول الأ لها، بل إنَّه تعالى هو الذي يأخذ الزكاة والصدقات الأخرى التي يعطيها العباد تقرباً إليه، أو تكفيراً لذنوبهم: (ويأخذ الصدقات). لا شكّ في أنّ الذي يأخذ الزكاة هو النّبي(صلى الأ عليه وآله وسلم) أو الإمام المعصوم(عليه السلام) أو خليفة المسلمين وقائدهم، أو الأفراد المستحقون، وفي كلّ هذه الأحوال فإنّ الأ تبارك وتعالى لا يأخذ الصدقات ظاهراً، ولكن لمّا كانت يد النّبي(صلى الأ عليه وآله وسلم) والنّواب الحقيقيين يد الأ سبحانه - لأنّهم خلفاء الأ ووكلاؤه - قالت الآية: إنّ الأ يأخذ الصدقات. وكذلك العباد المحتاجون، فإنّهم يأمر الأ يأخذون مثل هذه المساعدات، وهم في الحقيقة وكلاء الأ، وعلى هذا فإنّ يدهم يد الأ أيضاً. إنّ هذا التعبير من أطف التعبيرات التي تجسّد عظمة هذا الحكم الإسلامي - أي الزكاة - فبالرغم من ترغيب كلّ المسلمين ودعوتهم إلى القيام بهذه الوظيفة الإلهية الكبيرة، فإنّها تحذرهم بشدّة وتأمّرهم بأن يراعوا الآداب الإسلامية ويتقيّدوا باحترام من يؤدونها إليه، لأنّ من يأخذها هو الأ عزّ وجلّ، وإنّما حذرتهم حتى لا يتصور بعض الجهال، أنّّه لا مانع من تحقير المحتاجين، أو إعطائه الزكاة بشكل يؤدي إلى تحطيم شخصية آخذ الزكاة، بل بالعكس عليهم أن يؤدوها بكلّ أدب وخضوع، كما يوصل العبد شيئاً إلى مولاه. ففي رواية عن النّبي(صلى الأ عليه وآله وسلم): "إنّ الصدقة تقع في يد الأ قبل أن تصل إلى يد السائل"(1)! وفي حديث آخر عن الإمام السّجاد(عليه السلام): "إنّ الصدقة لا تقع في يد العبد حتى تقع في يد الرّب"(2). بل إنّ رواية صرّحت بأنّ كلّ أعمال ابن آدم تتلقاها الملائكة إلاّ الصدقة، فإنّها _____ (1) مجمع البيان، ذيل الآية. (2) تفسير العياشي، على ما نقل في تفسير الصافي في ذيل الآية.